قضية للحوار

محمد يوسف الجندى

سقطة

رد على التشهير باليسار المصرى

دار الثقافة الجديدة

(سقطة)

(رد على التشهير باليسار المصري)

محمد يوسف الجندي

"سقطة"!!

— رد على —

التشهير باليسار المصري

الناشر: دار الثقافة الجديدة

محمد يوسف الجندي

(سقطة)

رد على التشهير باليسار المصرى

الطبعة الأولى ١٩٩٩

دار الثقافة الجديدة

٣٢ ش صبري أبو علم، باب اللوق

باب اللوق، القاهرة

ت وفاكس : ٣٩٢٢٨٨٠

رقم الإيداع ٩٩/٤٧٦٧

الترقيم الدولي .I.S.B.N

977-221-097-5

المحتويات

ص

***

تقــديم

موضوع هذه الكراسة هو الرد على مقـــال بقلم د. إيمان يحيي نشر على حلقتين في جريـدة " الجيل " التي تصدر في قبرص وتــوزع فـــي مصر . وذلك تحت عناوين تشهر باليسار وتتهمه بالصهيونية. وقد كتبت هذا الرد وبعثته إلـــى " الجيل " فوعد رئيس التحرير بأنه سينشره فـــي العدد الذي صدر في ٧ مارس، ولكنه لم ينشـــر ونشر بدلا منه مقالا لأحمد بهاء الدين شـــعبان تضمن نفس المواقف والاتجاهات التي تضمنـــها مقال إيمان يحيي ولكن تحت لافتة الدفاع عـــن اليسار.

والعـــرف والتقـــاليد الصحفيـــة تفـــترض الاعتراف بحق الرد خصوصا إذا مس النشـــر

شخصا أو مجموعة. وهو الأمر الذي خرجت عليه صحيفة " الجيل ".

وهذا الموضوع يمسني كفرد باعتباري ناشرا للكتاب الذي أثار هذه الضجة وهو "من أجل سلام عادل في الشرق الأوسط" لهنري كورييل. فضلا عن أن المقال بمانشيتاته هو تشهير وأكاذيب حول اليسار. وباعتباري أنتمي لهذا التيار فمن حقي الرد.

وقد فكرت في الرد أيضا على مقال أحمد بهاء الدين شعبان ولكنني رأيت في النهاية أن الرد الحالي هو رد أيضا عليه.

وأعتقد أن الحوار سيستمر بعد ذلك ليغطي القضايا التي قد يثيرها هذا الرد.

والقضايا التي يثيرها مقالي إيمان يحيى وإحمد بهاء الدين شبعان هي:

١. دور اليسار في الحركة الوطنية وخصوصا في الأربعينيات.

وكل من المقالين يشوه دور اليسار أو على الأصح التيار الأكثر فاعلية فيه.

٢. الموقف من حرب فلسطين والقضية الفلسطينية.

٣. الموقف من الصراع العربي الاسرائيلي.

٤. قضية وحدة اليسار.

وأرجو أن يكون هذا الرد فاتحة للحوار حول هذه القضايا الأربعة، الذي أتمنى أن يكون حوارا موضوعيا خاليا من الاثارة والشعارات.

محمد يوسف الجندي

أكاذيب وتشهير

في يوم الأحد ٧ فبراير الماضي نشرت الجيل حلقتين من مقال للدكتور إيمان يحيى. وكتبت له مانشيتات تذكرنا بما كانت تنشره بعض الصحف قبل ثورة ٢٣ والتي كانت تتلقى توجيهاتها من السفارة البريطانية ومن القصر الملكي وأجهزة البوليس السياسي. من هذه المانشيتات " فضيحة اليسار المصري مع الصهاينة" و"كورييل عاش بين الشيوعيين في الأربعينيات وضحك عليهم وجعلهم أنصاف صهاينة" .. " ضباط تنظيم حدتو المصري رفضوا المشاركة في حرب فلسطين من أجل عيون كورييل وكتيبة سودانية عادت من الجبهة بسبب أفكاره". "وملازم المدفعية أحمد حمروش يكتب البيانات ضد الحرب، وخالد محيي الدين يطلب نقله من سلاح حرس الحدود قبل الحرب!".

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى المقال نفسه نجده عبارة عن سلسلة من الشتائم والأكاذيب من السهل اثبات اختلاقها.

ويقول الكاتب أنه ينشر هذا المقال بعد صـدور كتاب جديد عن " دار الثقافة الجديدة" بعنوان "مـن أجل سلام عادل في الشرق الأوسط" تأليف هـنري كورييل.

وقد أصدرت دار الثقافة الجديدة التـي أتولـى مسئوليتها عنها هذا الكتاب بالفعل. وقد قلـت فـي مقدمة الكتاب ان هذا ليس كتابا عن هنري كورييـل ولكنه كتاب عن آرائه وأفكـاره بالنسـبة للقضيـة الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي.

وليس ما أكتبه ردا على مقال " الجيـل" هـو دفاع عن هنري كورييل. فليس هذا هو المجال هنا. فدراسة تاريخه وأعماله وأفكاره سواء أثناء وجـوده في مصر أو بعد نفيه من جانب الملك فاروق بسبب هذا النشاط أو عمله في الخـارج لمسـاندة نضـال التحرر الوطني الجزائري وهو أمر تقيمه الحركـة الوطنية المصرية والجزائرية أو في نشاطه لمسـاندة حركات التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكـا اللاتينية وهو أمر يقيمه أولئك الذيـن تلقـوا هـذه

المساعدة، ثم في إغتياله بعد ذلك والـــذي يطــالب الكثيرون بإعادة فتح القضية ويتهمون فيها الموســاد والمخابرات الفرنسية ومخابرات جنوب أفريقيا فـــي عهد التفرقة العنصرية. هذا كله يكفي للـــرد علـــى الشتائم والاتهامات. ولكن ليس هذا هو الذي يـــهمنا في الرد على ما جاء في " الجيل". ولكن المشكلة أن التشهير بهنري كورييل كان الطريق الذي تســتخدمه القوى الرجعية والاستعمارية والصهيونية للتشـــهير باليسار المصري وتاريخه وتلطيخه خصوصا فـــي أسطع فترة من هذا التاريخ وهو فترة الأربعينيات.

وإن ماورد في هذا المقال ليس جديدا فقد اتـــهم اليسار المصري بالصهيونية مـــن جـانب القـــوى الرجعية. وكثيرا ما اتهم اليسار المصري بالخيانـــة ويستخدمون في ذلك موقفه من حرب فلسطين.

ويبدأ المقال كالعادة باثارة جو مـــن التشــكيك فيقول أن البعض اتهم هـــ. كورييل في الأربعينيات بالتعاون مع دول المحور. ولم يذكر من الذي أتهمـه ومتى؟ والحقيقـــة أن مـــن بيـــن كـــل الاتـــهامات

والأكاذيب التي وجهت إليه فإنه ليس من بينها تهمة التعاون مع دول المحور. لأن من يثيرون حوله الشكوك من الذكاء بحيث لايمكنهم أن يختلقوا هذا الاتهام لأنه من أصل يهودي والمعروف أن اليهود كانوا يقفون ضد المحور دفاعا عن أنفسهم ووجودهم.

أما الاختلاق الأكثر فحشا فهو القول بأن الحزب الشيوعي الفرنسي أتهمه بالتورط مع عملاء النازية.:وهذا لم يحدث أبدا في أي وقت من الأوقات ولم يحدث في أي وقت أن وجه له الحزب الشيوعي الفرنسي بالاسم أي إتهام. رغم أن العلاقات بينه وبين هذا الحزب كانت قد توترت في حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد اندريه مارتي سكرتيره السابق الذي اتهم بالنشاط التكتلي وكانت هناك علاقة تربط بين مارتي وكوربيل أثناء الحرب العالمية الثانية واستضافة كوربيل له في طريقه إلى الجزائر. وقد توترت العلاقة أيضا بسبب تأييد كوربيل و" الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني"

لثورة يوليو ١٩٥٢ وانفرادها بهذا الموقف رغم الموقف المعادي الذي تبناه الحزب الشيوعي الفرنسي من هذه الثورة واعتبارها " انقلاباً أمريكيا". وهو الموقف الذي اتخذته كل الأحزاب الشيوعية الأخرى في العالم باستثناء " الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني".

ومن المعروف أن الحزب الشيوعي الفرنسي قد أعاد الاعتبار بعد ذلك لأندريه مارتي وصحح موقفه بالنسبة لثورة يوليو. أما بالنسبة لموقفه من كورييل فإن البيان التالي الصادر من قيادة الحزب والذي قرئ في رسالة ألقيت في الاجتماع الذي عقد في باريس في ٣٠ مايو ١٩٩٨ بمناسبة الذكرى العشرين لإغتياله فإنه يبين مدى التقدير والمرتبة التي يضع فيها الحزب هنري كورييل الآن. جاء في هذه الرسالة ما يلي:

" مبعدا من مصر، محروما من الجنسية، مطرودا من إيطاليا، غير مرغوب فيه في فرنسا حيث كان (بلا أوراق)، كان هنري كورييل نفسه

يتمتع بروح الضيافة، روح التضامن وأيضا وبلا شك روح الأممية، لقد كان شيوعيا.

ومع ذلك يجب أن نقول بصراحة أنه في سنوات الخمسينيات لم يفهم حزبنا أو لم يرد أن يفهم من هو هنري كوربيل ولم يكن يثق به. وبعد ذلك تغير بشكل عميق تقدير الحزب الشيوعي الفرنسي لهذا المناضل الكبير، ولكن الضرر كان قد حدث. قام حائط من عدم الفهم لمدة طويلة بين هنري كوربيل والشيوعيين الفرنسيين. نحن مسئولون عنه ونأسف له.."

واختتم الرسالة بما يلي: ان الحزب الشيوعي الفرنسي مسرور للاحتفال معكم بذكرى هنري كوربيل، فنضاله هو نضالنا. وهذا النضال مستمر في العالم اليوم الملئ بالاضطهادات والأزمات والحروب، ولكن أيضا الملئ بحركات المقاومة والنضالات والآمال. فالفكر الشيوعي والهدف الشيوعي يظل حيا وضروريا اليوم أكثر من أي وقت مضى".

ولا حاجة للرد على ما أثاره الكاتب في المقال عن إتهام كوبا له بالعمالة للمخابرات الفرنسية وتوزيع وكالة "نوفوستي السوفيتية الرسمية" مقالا اتهمته فيه بالتعاون مع الموساد. فهو أمر لا نعرف عنه شيئا ولكن يرد عليه سلسلة المقالات التي نشرت في جريدة " لوبوان" الفرنسية بإيحاء من المخابرات الفرنسية تتهمه فيه بأنه عميل للمخابرات السوفيتية ك.ج.ب وأنه زعيم لشبكة أرهاب عالمية. أما اتهامه بأنه عميل للموساد فيرد عليه بنشاطه من أجل السلام وضد الصهيونية وحكام إسرائيل والذي يتضح من رسائله في الكتاب المشار إليه وهو الأمر الذي لا ترضي عنه الموساد ولهذا فهناك شكوك حول دورها في إغتياله.

ثم هناك سلسلة أخرى من الأكاذيب حول تكليف أصدقاء هنري كورييل لـ جيل بيرو بتأليف كتاب ضخم عنه. فجيل بيرو كاتب فرنسي كبير ومحترم ولا يؤلف بتكليف من أحد. ويتحدث عن حلقة كورييل التي يزعم أنها تقود اليسار المصري

الآن. هل هناك بجاحة أكثر من ذلك في الكذب. والمعروف أن مجموعة باريس أبعدت عن عضوية الحزب الشيوعي المصري المتحد سنة ١٩٥٨ ليس بسبب أي إدانة لها وإنما بسبب طول مدة غيابها عن مصر واستقرارها في الخارج فضلا عن أصولها الأجنبية وهو ماورد في الرسالة التي أرسلت إليهم في ذلك الوقت.

وهناك أكاذيب أخرى مثل قول الكاتب أن كوربيل يحصر الصهيونية فقط في محاولة التوسع خارج حدود إسرائيل. وأتحداه أن يقدم أي نص من كتابات كوربيل يؤكد هذا القول. ويتحدث بعد ذلك عن موقفه المؤيد للهجرة وإقامة إسرائيل. نتحداه أيضا أن يقدم أي نص يؤكد ذلك. وأنا أزعم أن موقفه كان دائما ضد هجرة اليهود إلى فلسطين وكان ذلك هو موقف اليسار المصري. أما عن موقفه من التقسيم فسنتحدث عنه فيما بعد.

والكذبة الأخرى هو زعمه أنه قال في مقدمة نشرة " مصر إسرائيل": اننا ننطلق من الحق

المقدس وغير القابل للتقادم للجماعات القومية في الوجود القومي". فهذا الجزء جاء في رسالة لزملائه. وجاء فيه " ولهذا فإننا نعترف بحق إسرائيل في الوجود القومي (وهذا لم ينكره أبدا) ولكن يجب في مقابله الاعتراف بنفس الحق لعرب فلسطين".

" وإذا قررنا أن منظمة " التضامن" يجب أن تساعد شعوب العالم الثالث المحرومة من حقوقها، فإن علينا أن نساعد الفلسطينيين العرب".

" صحيح أن كل من المجموعتين تنكر حقوق المجموعة الأخرى الشرعية. ولكننا في هذه الحالة ننطلق من مبدأ أننا فقط بمساعدتنا أولئك الذين انتهكت حقوقهم بالفعل يمكن الحصول على الاعتراف بالحقوق الشرعية للطرف الآخر. ولهذا فإننا بدفاعنا عن حق الفلسطينيين العرب فإننا نكافح من أجل قضية عادلة، ولكننا نخلق أيضا الظروف الملائمة لاعتراف العرب بالحقوق الشرعية لليهود الإسرائيليين".

ويعاود الكاتب التضليل والكذب ليقول أن هنري كورييل يتبنى وجهة نظر إسرائيل ليقول لا عودة لما قبل يونيو ٦٧. وهو كذب واضح لأنه في أكثر من موقع يطالب بالانسحاب الكامل من كل الأراضي التي أحتلتها إسرائيل. ولكنه لا يكتفي بترديد شعارات بل يفكر في الجهد العملي للوصول إلى ذلك. وهو لذلك يناقش الجو النفسي الموجود بين الإسرائيليين العاديين الذين نجحت الدعاية الرسمية في بلادهم لإقناعهم بأنهم كانوا يدافعون عن بلادهم ضد العدوان. ولهذا فليس من السهل مطالبتهم بالعودة إلى حدود ٦٧ إلا إذا حصلوا مقابل ذلك على سلام حقيقي وأمن حقيقي.

أما بالنسبة للانسحاب الكامل فهو يقول في ص١٥٣ تحت عنوان "من أجل سياسة مبدئية" تحت بند ٣: " ويجب أخيرا وفي نفس الوقت النضال من أجل تحقيق تكامل الأراضي المصرية. وهو أمر يمكن قبوله بسهولة لهذا بدلا من سياسة "الخطوة خطوة" التي ينادي بها الأمريكيون، يجب الدفاع عن

سياسة الحل الشامل أي الانسحاب الكامل من الأراضي التي أحتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧".

ويتحدث د. إيمان يحيي كاتب المقال عن أن هنري كوربيل صهيوني ابن صهيوني ويواصل مسلسل الشتائم. ولكن ما أدلته على ذلك ؟

في مقال هنري كوربيل " من أجل سياسة مبدئية" يقول:

" من المميزات الهامة للحركة الشيوعية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية مواقفها حول القضية الفلسطينية؛

أولا كانت دائما وظلت معادية للصهيونية بلا هوادة رغم أن السلطات الملكية والطبقات المصرية السائدة كانت تتعاون مع المنظمات الصهيونية وضد الشيوعية أساسا.

وكانت في نفس الوقت وبعمق معادية للعنصرية وكانت الحزب السياسي المصري الوحيد الذي أستطاع فيه اليهودي أن يناضل من أجل وطنه المصري.

وأخيرا فإنها اتخذت بشجاعة وفي ظروف شديدة الصعوبة مواقف أممية بالنسبة للقضية الفلسطينية، بينما أتخذت الطبقات الحاكمة مواقف شوفينية وديماجوجية دفعت شعوب المنطقة والشعب الفلسطيني أكثر من غيره ثمنا لها معاناة لا حدود لها ؟ ".

وفي محضر نقاش بينه وبين د. رفعت السعيد يقول:

" كان موقفنا منذ البداية واضحا جدا. فمنذ أيلم ح.م (الحركة المصرية للتحرر الوطني) ثم بعدها في " حدتو" (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني) كنا ندين الصهيونية ونعتبرها جزءا لا يتجزأ من معسكر الأعداء. وقد ركزنا جهودا كبيرة في عزل الصهيونيين عن المجتمع اليهودي المصري. وقاومنا في نفس الوقت الدعاوى العنصرية التي حاولت حرف الكفاح، من كفاح سياسي ضد الاستعمار وضد الصهيونية كحركة إستعمارية، إلى كفاح عنصري ضد اليهود، وكنا نعتقد أن العنصرية

التي كان الاخوان المسلمون دعامتها كـــانت خـــير معين للصهيونية لأنها كانت تدفع بالانسان اليـــهودي المعادي الذي عاش طول حياته فـــي مصـــر إلـــى أحضان الصهيونية. ومن هنا فاننا كمـــا قاومنـــا " الصهيونية" كحركة رجعية، قاومنا أيضـــا دعـــاوى الاخوان المسلمين العنصرية باعتبارها خطرا يـؤدي إلى إنتشـــار الفكـــر الصـــهيوني وســـط اليـــهود المصريين.

وكنا قد أسسنا " الرابطة الإسرائيلية لمكافحـــة الصهيونية" وتعرضت هذه الرابطـــة إلـــى هجـــوم مزدوج من الصهيونية ومن الحكومة المصرية التي كانت تتستر على الصهيونية".

بعد هذه التصحيحـــات ندخـــل فـــي القضايـــا الأساسية: قضايا الحوار. وسأتعرض هنـــا لثـــلاث قضايا أساسية تمسك بها اليســـار طـــوال تاريخـــه ويتحدد بها دوره الثوري في الحركة الوطنية فـــي مصر وتأثيره في العالم:

الموقف من السلام والحرب

اليسار يقف مع السلام وهو موقف مبدئي، لأنه موقف إنساني يرفض أن يقتل الانسان أخيه الانسان. ولهذا فهو يفضل تسوية الخلافات الدولية بالطرق السلمية.

ولكن تأييد السلام لا يعني الاستسلام للعدوان. بل إن العدوان هو الذي يمثل التهديد للسلام. والوقوف مع السلام لا يعني إنكار حق الشعوب في الدفاع عن أراضيها بكل الطرق بما في ذلك الكفاح المسلح إذا لم تجد الطرق السلمية في استرداد الحقوق.

وقد كان هذا هو دائما موقف اليسار المصري من القضية الوطنية. ففي الأربعينيات رفض إحتلال القوات البريطانية للأراضي المصرية والسودانية وناضل مع كل القوى الوطنية الأخرى لاستردادها بكل الطرق بما في ذلك الكفاح المسلح في قناة السويس. ورفض التحالف مع الاستعمار. فأفشل اتفاق صدقي بيفن وخشبه كامبل وضغط من أجل

إسقاط معاهدة ٣٦ ورفض مشروع ايزنهاور. وعندما تكونت الحركة المصرية للسلام في الخمسينيات برئاسة يوسف حلمي اعتبرت النضال الوطني من أجل الاستقلال جزءا لا يتجزأ من النضال من أجل السلام.

واعتبر الصهيونية حركة رجعية وكافح ضدها. ورفض دعوتها لهجرة اليهود إلى فلسطين ودعا اليهود المصريين إلى البقاء في مصر كمواطنين مصريين وكون "الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية" التي حلها النقراشي باشا. وكانت الحكومة وقتها تسمح بوجود المنظمات الصهيونية في مصر وتحميها.

وعندما قامت حرب فلسطين رفض اليسار أن تشترك مصر في حرب خارج بلادنا في الوقت الذي كانت القوات البريطانية تحتل أراضيها وكان لها السيطرة والتأثير على قرارات الحكومة السياسية سواء بالنسبة لمصر أو البلاد العربية.

وكان اليسار يعتبر أن دخول حرب فلسطين هي محاولة من الاستعمار والقوى الرجعية المتحالفة معه لحرف أنظار الشعب المصري عن نضاله الوطني المتصاعد بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية والذي تمثل في أحداث ٤٦ و٤٧ الوطنية الكبرى والتي كانت تهدف التحرر الكامل من الاستعمار.

وكان اليسار وخصوصا " الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني" تدرك أن تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والدعوة الصهيونية لخلق وطن قومي لليهود في فلسطين تتعارض مع مصالح الحركة الوطنية في مصر وفي غيرها من البلاد العربية. ولهذا كانوا يعارضون الهجرة ويعارضون الدعوة الصهيونية. ولكن عندما صدر قرار هيئة الأمم المتحدة بالتقسيم، وسانده الاتحاد السوفييتي الذي كان يساند حركة التحرر الوطني العربية. كان اليسار المصري مواجها بالأختيار بين موقفين: قبول قرار التقسيم بإيجاد دولتين عربية ويهودية في فلسطين باعتباره الحل الوحيد الممكن والانطلاق

منه لانشاء الدولة الفلسطينية وجلاء القوات البريطانية في فلسطين أو القيام بحرب تحت قيادة تعمل لخدمة الاستعمار وبقيادة إنجليزية. فاختاروا الحل الأول ليس باعتباره أفضل الحلول ولكن الأقلها سوءا رغم أنهم كانوا يطالبون دائما بإقامة دولة ديمقراطية واحدة يعيش فيها العرب واليهود جنبا إلى جنب في فلسطين.

ومع أنهم كانوا يعارضون الصهيونية ويقاومونها فإنهم كانوا يعارضون بنفس القدر ويقاومون الدعوة العنصرية لمعاداة اليهود ويرون أن الدعوتين تصبان في هدف واحد.

حرب فلسطين عام ١٩٤٨

في هذه الظروف قامت حرب فلسطين. وإذا قرأنا كتاب محمد حسنين هيكل الأخير " العروش والجيوش" لتبينا بالوقائع والأدلة أنها لم تكن حربا وإنما مهزلة ومؤامرة. يقول هيكل في كتابه:

" ويوم صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، أي قبل ستة أشهر من بدء القتال على أرضها .. لم يكن احتمال الحرب فضلا عن قرار الحرب واردا على بال الدولة في مصر. ولا حتي كخاطر ينشغل به طرف من أطراف السلطة .. يستوي في ذلك القصر الملكي والوزارة القائمة في الحكم والأحزاب السياسية خارج الحكم".

ويلاحظ هيكل أن غياب الهدف الاستراتيجي كان واضحا منذ اللحظات الأولى: فالدولة العربية ومصر التي قررت دخول الحرب قبل أيام من بدء المعارك لم تكن تعرف بالضبط ماذا تريد وكيف يمكن تحقيقه وبأي وسائل. ولقد كان غياب العمل الاستراتيجي سببا في غياب خطته".

" إن الجيش المصري دخل فلسطين وهو لا يعرف شيئا عن جيش اليهود ولا عن قادتهم .. ولا عن عدتهم العسكرية وأسلحتهم ومدى قدرتهم على القتال. كان عدد الجيوش العربية بالمتطوعين ٢٦ ألفا، بينما كان عدد الجيش اليهودي ١٢٠ ألف رجل

وإمرأة، وكنا نطلق عليهم أسم العصابات الصهيونية تهوينا من شأنهم واحتقارا لهم.

وكان الجيش المصري يحارب في الشتاء بملابس الصيف، ولم تكن لديه خريطة توضح الطرق في فلسطين .. وكانت معلوماته عن قادة الجيش اليهودي أن قائده فلاح ضخم الجثة.

ويورد هيكل ثلاث شهادات في نهاية كتابه منها شهادة الحاج أمين الحسيني في فلسطين الذي كان يرى أن من مصلحة القضية الفلسطينية أن يقوم الفلسطينيون أنفسهم بعبء الدفاع عن وطنهم، على أن تقوم الأمة العربية بمساعدتهم بالسلاح والمال والخبراء. وقال أن السبب في تراجع القضية ووصولها إلى هذا الدرك عدة أسباب أولها أن بعض المسئولين في الدول العربية الذين كانت في أيديهم مقاليد الأمور لم يكونوا جادين ولا مصممين على مواجهة هذه المشكلة. وكان بعض المسئولين في بعض الدول العربية يعملون إما بوحي الاستعمار الأجنبي وإما بتأثير مصالحهم الخاصة.

أما عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية وقتئذ فطالب بتحقيق ذي إتجاهين: إتجاه سياسي لمعرفة المسئولية في دخول الحرب نفسها، وإتجاه عسكري لمعرفة أسباب الهزيمة العسكرية بعد الدخول. وبطبيعة الحال لم يحدث هذا أو ذاك.

وتبقى شهادة اللواء محمد على المواوي القائد العام للقوات المصرية في فلسطين، قال: " كنت في العريش وتلقيت رسالة تطلب حضوري بسرعة إلى القاهرة. ودعيت لمقابلة الفريق محمد حيدر الذي سألني:

ـ إيه الحالة عندك ؟ قلت: ان الوحدات غير مدربة. لقد كنت مسئولا عن التدريب في الجيش وأنا أعلم حالته. وكنت قائدا لسلاح المشاه وأنا أعلم حالة جنودنا. وكنت قائدا لمعسكر التدريب في الجيش وأنا أعلم أننا غير مستعدين إطلاقا. وسكت حيدر بعض الوقت وقال لي: اسمع يامواوي، دولة النقراشي جاي يحضر إجتماع في رياسة الجيش تعال معي وقل له هذا الكلام كله. وذهبت إلى

الاجتماع وجلست أمام النقراشي أروي له معلوماتي بصراحة، وقال لي النقراشي: ان موقفنا أمام الدول العربية يحتم علينا الدخول. ثم تكلم النقراشي طويلا وكان أبرز ما قاله:

- تصور دولته ـ رحمه الله ـ أنني خائف من العملية.
- قال لي أنه يعتقد أن المسألة ستسوى سياسيا بسرعة، وإن الأمم المتحدة سوف تتدخل.
- قال لي إن الاشتباكات ستكون مجرد مظاهرة سياسية وليست عملا حربيا.

وكتبت تقريرا رسميا بكل آرائي. ثم أطعت الأوامر الصادة لي بالسفر. وركبت الطائرة إلى العريش.

وفي اليوم السابق للعملية جائتني الخطة في مظروف سري وصلني بالطائرة".

ذلك هو ما كتبه محمد حسنين هيكل في كتابه الصادر في ديسمبر ١٩٩٨ ويستند على الوثائق التي حصل عليها من المسئولين.

كانت عمان هي مركز القيادة العليا لجيوش الدول العربية. وكان لواءها معقودا للملك عبد الله الذي يروي هيكل في كتابه لقاءاته مع الانجليز ومع الوكالة اليهودية لضمان ضم الضفة الغربية إلى شرق الأردن كما كانت مملكته تسمي في ذلك الوقت. وكان هذا هو هدفه الوحيد من دخول الحرب وكانت جيوشه تحت قيادة الجنرال الانجليزي جلوب، وكانت قيادة " الفيلق العربي" كلها وليس الجنرال جلوب وحده، كانت من الضباط الانجليز، وكان البعض من لندن وليس من عمان "هيكل.. نفس المصدر. ص١٨". وذكر هيكل في كتابه العروش والجيوش نقلا عن الاستاذ " آني شلايم " الأستاذ بجامعة أكسفورد والمؤرخ المعتمد لمرحلة إنشاء الدولة اليهودية وقد أتيح له أن يقرأ كل الوثائق الإسرائيلية قبل وبعد إقامة الدولة:

" فور صدور قرار تقسيم فلسطين كان هناك إتفاق مسبق وكامل بين الهاشميين والحركة الصهيونية، وكان جوهر الاتفاق أنه عندما يسري مفعول قرار التقسيم وينتهي الانتداب البريطاني على فلسطين فإن دولة يهودية (إسرائيل) سوف تعلن على الفور في الجزء المخصص لليهود بمقتضى قرار التقسيم. وأما بالنسبة للجزء المخصص للعرب فإنه ينضم إلى شرق الأردن بحيث لا يكون هناك داع لدولة فلسطينية تنشأ بين إسرائيل بين نهر الأردن".

وكان الاتفاق يضمن مصلحة الأطراف جميعا: مصلحة إسرائيل لأنها في هذه الحالة معفاة من الاعتراف بوجود شعب في فلسطين له حقوق تاريخية على الأرض (نظرية " هرتزل" في أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض). والملك " عبد الله" لأنه في هذه الحالة يستطيع تحويل شرق الأردن إلى مملكة " بحق وحقيق" لها عمقها على

ضفتي النهر: شرقا وغربا. (هيكل " العروش والجيوش ص٣١).

ثم يورد هيكل بعض الروايات عن تحريض المسئولين الانجليز في اتصالاتهم للمسئولين العرب للاقدام على الحرب ضد اليهود.

ويقول ان السباق على العروش الأربعة في المشرق العربي أدى على نحو ما إلى تدخل الجيوش العربية فعلا في ١٥ مايو بعد أيام غطتها سحابات من الشك والغموض، والفوضى في الفكر والفعل (هيكل ــ نفس المصدر ــ ص٧٦).

ولنتمعن في خطاب النقراشي باشا رئيس الوزراء إلى مجلس النواب في جلسة سرية: " إذا دخلت الجيوش للسلام والنظام وأوقفت المذابح فلن تكون هناك حرب وليست هناك مخالفة لهيئة الأمم المتحدة، وإنما نعمل على قتل رأس الحربة التي تمتد من هذه العصابة الصهيونية لنشر الاضطراب والشيوعية في البلاد العربية .. ليست هناك دولة

يهودية، فإن مجلس الأمن لم يقرر هذه الدولة، وأمريكا تخلت عن قرار التقسيم".

ولم يكن النقراشي يستند في وجود أئتلافه الحكومي إلا إلى أرادة الملك. وهو وحده الذي أتخذ قرار الحرب.

ثم كان قرار الحكومات العربية باختيار الجنرال جلوب (البريطاني) قائدا لكل الجيوش العربية المحاربة في فلسطين.

ويورد هيكل العديد من الوقائع التي تؤكد التورط والتحريض البريطاني لدخول القوات العربية الحرب في فلسطين فيقول أنه في الواقع يمكن تمييز عدد من الأسباب:

١. أن خطة انشاء دولة يهودية في فلسطين هدف بريطاني وغربي أصيل. فقد كانوا مع الأمريكيين غير بعيدين عن الموقف الصهويني في فلسطين. وهو كحد أقصى: كل فلسطين لليهود (ـ وكحد أدني: لا دولة فلسطينية وإنما ضم الضفة الغربية إلى إمارة شرق الأردن).

٢. إن التفكير الاستراتيجي البريطاني بعد الحرب كان مشغولا بمنطق أنه إذا كان الانسحاب الامبراطوري ضروريا من بعض المناطق فالأفضل أن تترك الامبراطورية وراءها نزاعات محلية وإقليمية تستنزف جهد الأطراف وربما تجعلها أشد حاجة إلى الإمبراطورية الأم.

٣. إن دولا عربية ـ وبالتحديد مصر ـ سوف تشعر بعد التجربة بالتهديد مباشرا عليها، وسوف تكتشف بالتجربة أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها وبالتالي تتواضع في طلب جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس.

هذه هي الحرب التي يطالبنا مقال الجيل بتأييدها والمشاركة فيها. حرب بقيادة انجليزية تحقق أهدافا إنجليزية أمريكية صهيونية وتحقق طموحات الملك عبد الله في الاستيلاء على الضفة الغربية وإلغاء مشروع الدول الفلسطينية التي نص عليها قرار هيئة الأمم المتحدة. حرب أشبه بمسرحية

هزلية لأنه لم يتم أي إستعداد لها بشهادة قائد القوات المصرية اللواء المواوي وغيره من الشهود. حرب لم يرد منها ملك مصر وأعوانه إلا الكسب من وراء التجارة بالسلاح كما تؤكد كل الوقائع التي ثبتت بعد ذلك وكشفها إحسان عبد القدوس في مقالاته في* روز اليوسف. ويزيد من بشاعة الجريمة والخيانة أنها كانت تجارة في أسلحة فاسدة تنفجر في جنودنا وضباطنا.

مثل هذه الحرب رفضها اليسار وحذر منها ، دعا إلى توجيه السلاح إلى المحتلين. وقد تبين الشعب وقواه الوطنية بما فيه ضباطه الأحرار صدق رؤية اليسار وصحة وطنية موقفه وكشفوا موقف الخيانة الذي وقفه ملك مصر وحكومته وباقي الحكام العرب من عبد الله إلى غيره الذين شنوا الحرب تنفيذا لمصالح الاستعمار والصهيونية.

اليسار قلب الحركة الوطنية وموجه دفتها :

تعتبر فترة الأربعينيات وبالذات في النصف الثاني من هذه الحقبة وأوائل الخمسينيات من أزهى فترات اليسار. وكان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت كل الأحزاب والقوى السياسية الموجودة في ذلك تتخبط في تحديد أهداف الحركة الوطنية، فكانت كلها تقريبا تربط بين الجلاء والارتباط مع الاستعمار البريطاني بشكل من أشكال المعاهدة. وكانت كلها لا تربط بين الحركة الوطنية والحركة الاجتماعية. وباستثناء اليسار الذي ظهر في هذه الفترة من خلال الحركة الوطنية وحدد أهدافها في الاستقلال التام عسكريا وسياسيا واقتصاديا دون الارتباط بأي معاهدة أو حلف مع الاستعمار وكان يرى أن النضال ضد الاستعمار هو بالحتم سيوجه في نفس الوقت ضد أعوانه الداخليين (القصر والاقطاع وكبار الرأسماليين المرتبطة مصالحهم بمصالح الاستعمار). ولهذا كان من

الضروري أن يصحب التوجه الوطني أو يتبعه توجه إجتماعي.

وقد تبنت الحركة الوطنية في الأربعينيات هذا التوجه. وقد تجسد ذلك في انتخابات اللجان التنفيذية لطلبة الجامعة والمعاهد والمدارس الثانوية الذي انتصر فيها اليسار انتصارا ساحقا. وكذلك في الانتخابات العمالية والتي نشأ عنها تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التي كانت نداءاتها ودعواتها تلقي استجابة تامة من كل فئات الشعب كما تبين ذلك في "يوم الجلاء" ٢١ فبراير ١٩٤٦ وفي ويوم الحداد ٤ مارس. وفي الاستجابة الكاملة لكل نداءاتها بعد ذلك. وبعد أن حل صدقي باشا هذه اللجنة في ١١ يوليو ١٩٤٦ في حملته "لمكافحة الشيوعية" استمر اليسار في النضال بأساليب مختلفة. وظهرت صحفه والتنظيمات التي كونها والدور الذي لعبه مع تنظيم الضباط الأحرار الذي تبنى توجهات اليسار في الحركة الوطنية من الربط بين الأهداف الوطنية والاجتماعية. وقد ظهر ذلك

في منشورات الضباط الأحـرار، وفـي توجـهات الثورة بعد ذلك بقيادة جمال عبد الناصر.

وقد أعتـادت القـوى الوطنيـة فـي مصـر وخصوصا اليسار أن تحتفل في فبراير من كل عـلم بهذه الأيام المجيدة. وقد رأت " الجيل" أن تحتفل هذا العام بأسلوب آخر ولكنه ليس جديدا وهـو تلطيـخ اليسار والتشهير به بأن تلصق به تهمـة الارتبـاط بالصهيونية.

ومن المواقف التي يفخر بها اليسار في هـذه الفترة هو موقفه ضد حرب فلسـطين عـام ١٩٤٨ تلك المؤامرة الاستعمارية الرجعية التي كـان مـن نتائجها:

١ـ القضاء على دولة فلسطين بعد أن استولت حكومة شرق الأردن على الضفة الغربية وأخضعت الحكومة المصرية غزة للادارة المصرية. وهذا هـو ما كان يريده الصهاينة والاستعمار والقوى الرجعيـة العربية.

٢ ـ دخول الحرب دون الاستعداد لـها مـع الغلم بتفوق اليهود مما أدى إلـى إسـتيلائهم علـى

٧٧% من أراضي فلسطين وكـان قـرار التقسيم يعطي اليهود مساحة ١٤ ألف كيلو متر مربـع أي (٥٦% من المساحة الكلية لفلسطين).

وكان القرار يشترط أن تتكـون مـن سكان مختلطين (٤٩٨ ألف يـهود و٤٩٧ ألـف عـرب) يتمتعون بحقوق متساوية. ولكن ما حدث هو طـرد أو تخويف غالبية العرب الذين أصبحـوا لاجئيـن. وذلك بخلاف الدولة العربية الفلسطينية التي لم تنشأ أصلا.

٣ - استخدمت الصهيونية والقوى الإمبرياليـة منذ ذلك الوقت هذا التوتر الذي خلقتـه فـي هـذه المنطقة لتبرير وجودها وصرف أنظـار الشـعوب العربية عن قضاياها الأساسـية وهـي الاسـتقلال والتنمية.

٤ - منذ هذه الحرب اسـتمر القـادة العـرب يتحدثون عن الحرب والقضاء على إسرائيل وهـم غير قادرين ولا مستعدين لذلك فيعزلون أنفسهم عن الرأي العام العالمي ومصورين أنفسهم في صـورة المعتدين، بينما يتحدث القادة الاسرائيليون كذبا عـن

السلام وعن الدفاع عن أراضيهم ضد المعتدين بينما هم يستعدون للحرب والعدوان والتوسع. وهذا هـــو ما حدث منذ ذلك الوقت حتى الآن ــ العدوان علـــى غزة عام ١٩٥٥ ــ العدوان الثلاثي عـــام ١٩٥٦ ــ عدوان ١٩٦٧ ــ العـــدوان ضـــد لبنـــان ــ بنـــاء المستوطنات .. الخ).

إزاء هذا الوضع بدأ الفلسطينيون يغيزون مـــن سياستهم، ففي إجتماع المجلس الوطني الفلســـطيني في الجزائر عام ١٩٧٤ قرر المجلس بجميع فصائله الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة والتـــي تعـــترف بإسرائيل) مع العمل على بناء الدولـــة الفلســـطينية على أي شبر يتم تحريره.

وقبل ذلك نادى جمال عبد الناصر في بـــلندونج بتطبيق قرارات الأمم المتحدة الخاصـــة بالتقســـيم. ووافق بعد عدوان ١٩٦٧ على قرار مجلس الأمـــن ٤٢ و٣٣٨ اللذين يعترفان بحدود ١٩٦٧.

***

لقد كان اليسار دائماً هو الأكثر وضوحا والأبعد نظرا بالنسبة للقضية الوطنية بما فيها القضية الفلسطينية.

وفي الأربعينيات كانت السلبية الأساسية التي يعاني منها اليسار هو الانقسامية. وقد كانت القوى الثورية والأكثر وضوحا والأبعد نظرا تدعو دائما إلى الوحدة. وتتبين قوى اليسار اليوم على إختلاف إتجاهاتها أن الخلاف في الرأي لا يستوجب الانقسام. وترى أن التعدد في الفكر والاتجاهات يمثل قوة وخصوبة ولكن في إطار الوحدة مع التعدد.

ولهذا فإن دعوة د. إيمان يحيي إلى فريق ضد فريق آخر من اليسار هو عودة إلى الوراء ودعوة إلى تكريس الانقسامية الذي تتبين كل قوى اليسار اليوم أنها دعوة رجعية ولاتخدم إلا القوى الرجعية والصهيونية. وفي مقابل ذلك ندعو قوى اليسار بكل إتجاهاتها وآرائها ألا تلتفت إلى هذه الدعوة وأن تعمل بكل قواتها وأن تحرص على الوحدة.

***

هذا الكتاب

هو رد على مقال نشرته جريدة " الجيل " في ٢٨ فبراير ١٩٩٩ نشر على حلقتين يهدف إلى التشهير باليسار المصري والتشكيك في وطنيته بتكرار الأكاذيب والاختلاقات التي كان يرددها عملاء الاستعمار وأبواقه.

وتركز هذا التشهير على اتهام اليسار بالصهيونية مستندا إلى موقفه من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ والتي كان اليسار يراها مؤامرة لحرف النضال الوطني ولمنع وجود دولة فلسطين.

ويقدم هذا الرد المستندات الدالة على ذلك. وأن اليسار المصري وحده هو الذي اتخذ الموقف الوطني والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وقيام دولته.

كتب هذا الكتاب محمد يوسف الجندي المدير المسئول عن " دار الثقافة الجديدة " والذي سبق له نشر كتاب عن " اليسار والحركة الوطنية في مصر ١٩٤٠ ــ ١٩٥٠ " وغيره من المؤلفات.

دار الثقافة الجديدة
٣٢ شارع صبرى . ت : ٣٩٢٢٨٨٠.